المؤرخ العربي

مجلة فصلية تاريخية محكمة تعنى بشؤون التراث والتاريخ العربي والعالمي

العدد 52 ـ 1416هـ ـ 1995م

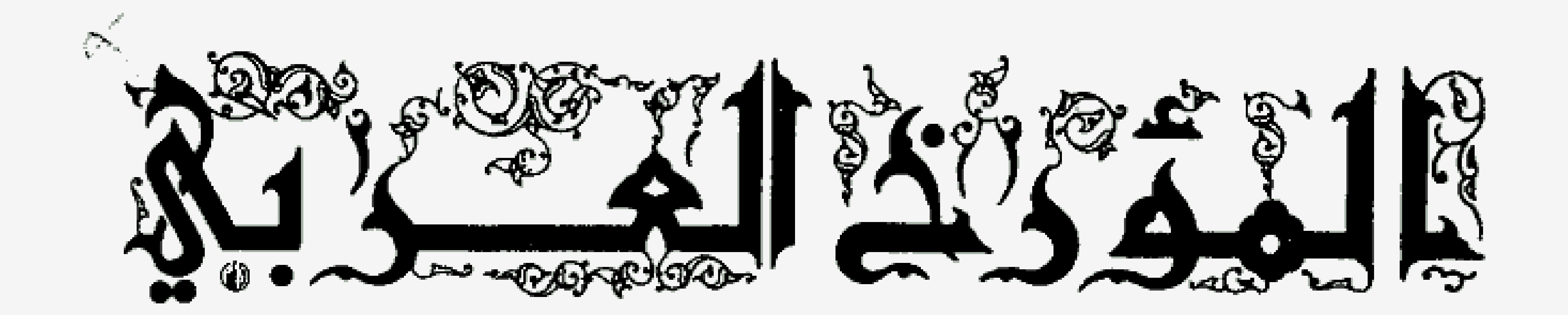


تصدر عن

الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب

بغداد


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی



مجلة فصلية تاريخية محكمة تعنى بشؤون التراث والتاريخ العربي والعالمي



تصدر عن الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب/ بغداد

العدد 52 ـ 1416هـ ـ 1995م

بطاقة الاشتراكات

مجلة المؤرخ العربي - العنوان
الدكتورة رناد الخطيب عياد
مديرة التحرير
ص. ب ٩٢٢٠٩٤/١١١٩٢
عمّان - الأردن

قيمة الاشتراك للاقطار العربية
٥٠ دولاراً للمؤسسات الرسمية
٢٥ دولاراً للمؤرخين وطلبة معاهد التاريخ

للاقطار الأخرى
١٥٠ دولاراً
٥٠ دولاراً

هاتف: ٩٦٢٦/٦٦٢٨٢٨
فاكس: ٩٦٢٦/٦٧٦٦٥

ارجو قبول اشتراكي في مجلتكم لمدة سنة واحدة

الاسم: ....
العنوان: ....
المدينة: ....
القطر: ....
التاريخ: ....
ايرجى ارسال قائمة بالحساب وتجدون طياً صكاً بقيمة ....

Subscription card

Please enter my subscription for

Address:
Dr. Rinad Ayyad
Arab Historians Union Culture Attache
Tel. 662828. Fax. 677665. P.O.Box 922094. Amman-Jordan

One year $ 150 for institutions
$ 50 for Historians & Students of History
Please Bill me

Check enclosed for ....
Name ....
Address .... Country ....
City ....
Date ....

هيئة التحرير

البحث التاريخي والأثري في محافظة ظفار ـ سلطنة عمان ١٩٩٢ ـ ١٩٩٤

البروفسور يوريس زارينز
جامعة ولاية ساوثوست ميسوري
الولايات المتحدة الأمريكية.

المقدمة

نستطيع القول بأن البحث العلمي الأثري والتاريخي في محافظة ظفار قد بدأ قبل عشرين عاماً فقط وما دون ذلك كان حفريات وأعمال مسح لفترة محدودة عام ١٩٥٣. وهناك ملاحظات وأوصاف سجلها الرحالة عن المنطقة منذ القرن الأول قبل الميلاد حتى رحلات ثيسجر في عام ١٩٤٨.

وبدأت الأبحاث الحالية بمبادرة من حكومة السلطنة عام ١٩٨٩، وتعود المبادرة الأساسية لجلالة السلطان قابوس بن سعيد الذي أولى اهتمامه ورعايته الخاصة لهذا المشروع العلمي الهام... فكانت الأعمال الأولية التي قامت بها بعثة ترانس أريبيا خلال موسم ١٩٩٠ ـ ١٩٩١ ـ ١٩٩٢.

ومنذ عام ١٩٩٣، قضى الأمر السامي لجلالة السلطان المعظم بتشكيل اللجنة الوطنية للإشراف على مسح الآثار في السلطنة برئاسة معالي عبد العزيز بن محمد الرواس وزير الاعلام. وكان ذلك إيذاناً ببداية العمل العلمي المنظم حيث ظلت اللجنة الوزارية الجهة الرسمية المسؤولة عن العمل... وتركزت الأبحاث في منطقة شصر وفي عين حمران في سهل صلالة وتحت المياه في منطقة مرباط.

بيئة ظفار

تتميز بيئة وجغرافية محافظة ظفار بأنها جزء من الدائرة الأوسع للمحيط الهندي ولشرق افريقيا ولشبه الجزيرة العربية... ومن هذه البيئة الواسعة نجد المناخ والبيئة المتنوعة في المحافظة. هناك ساحل ظفار الذي يبلغ طوله نحو ٥٠ كيلومتراً وعرضه عشرة كيلومترات... وهناك بيئة الأودية والخيران. وسيركز البحث الأثري على مزيد من الدراسة لبيئة المنطقة وتضاريسها وتوزيع اليابسة والمياه على سطحها (الجيومورفولوجيا). وهناك المناطق الجبلية التي تشكل سلسلة أخرى، فالمنطقة الواقعة في أقصى الشرق تسمى جبل سمحان، والوسط جبل قرى، والغرب جبل القمر، ويبلغ عرض الجبال نحو ٢٣ كيلومتراً وأقصى ارتفاع لها نحو ٢,٥٠٠ متر. وتتميز عن بقية مناطق الجزيرة العربية بهبوب الرياح الموسمية مما يسبب هطول الأمطار وانتشار المراعي، وتنمو على بعض أجزائها أشجار اللبان وتتفجر من الجبال عيون المياه على مدار العام.

وهناك منطقة نجد التي تمتد من شمال منخفضات الجبال حتى صحراء الربع الخالي وهي أكبر مناطق محافظة ظفار. وكانت الوديان الكبيرة مثل دوكة وربخوت ودهبون وغادون في الزمان البعيد أنهراً على حافة الربع الخالي. وأخيراً هناك البيئة الرملية التي تعرف باسم الربع الخالي وتمتد نحو عشرين كيلومتراً من شمالي شصر حتى أواسط شبه الجزيرة العربية.

وتتميز منطقة محافظة ظفار عن بقية مناطق السلطنة والجزيرة العربية بشكل عام بهبوب الرياح الموسمية الآتية إليها من الجنوب الغربي في الفترة من يونيو إلى سبتمبر مما يسبب هطول الأمطار وانتشار المراعي... ولسوف نعود مرة أخرى لبيئة المنطقة المتنوعة لما لها من علاقة مباشرة بآثار المنطقة وحضارتها.

خلفية ظفار التاريخية

كان لوجود أشجار اللبان في أجزاء من محافظة ظفار أثره البالغ على تطور تاريخ المنطقة وعلى المنطقة الأوسع في الشرق الأوسط... وقد أثار وجود اللبان والصمغ في المنطقة حفيظة المؤرخين الأوائل منذ عام ٤٠٠ قبل الميلاد بدءاً من المؤرخ الأول (أبو التاريخ) هيرودوت ثم بيليني وبطليموس وديودورس وسترابو وغيرهم... كلهم تركوا لنا إشارات وانطباعات عن تلك السلعة النادرة في العالم القديم والتي كانت سبباً في ازدهار المنطقة التي تحتكر إنتاج اللبان وكان الطلب التجاري عليه من أمم العالم القديم لا يضاهيه الطلب على أية سلعة أخرى.

وكانت السلعة تُنقل بالبر والبحر للمراكز التجارية في العالم القديم. وكان ميناء سمهرم (خور روري) أو رأس فرتاك (جبل القمر) الميناء القديم الذي يجمع فيه المحصول للتصدير للهند عن طريق ميناء عدن على البحر الأحمر. أما الطريق البري فكان يبدأ من ظفار غرباً عن طريق نجد إلى جنوبي مدن الجزيرة العربية مثل شبوه وتمنا ومعرب ثم شمالاً إلى نجران حتى غزة. ومن الطرق القديمة التي ورد ذكرها من المؤرخين والجغرافيين الأوائل الطريق الذي يربط بين ظفار وشرق بلاد العرب حتى بلاد سومر في العراق القديم. ويذكر لنا المؤرخ سترابو أن الرحلة البرية للقوافل التي تحمل الصمغ والبخور من جيرهة حتى حضرموت تستغرق نحو الأربعين يوماً أي تسلك طريقاً مباشراً عبر منطقة الربع الخالي. ونعلم من الإفادات أن مدينة جيرهة أسسها البابليون على شواطيء الخليج قبالة البحرين. ورغم الأبحاث التي تمت خلال السبعينات فلا يزال مكان مدينة جيرهة محل جدل، وأعمال المسح التي جرت في مناطق عين جاوان والظهران وواحة الحسا تشير إلى طريق بري يربط بين ظفار وجنوبي المناطق الشرقية في الجزيرة العربية.

وكان الجغرافي بطليموس أول من رسم خريطة للمنطقة جنوبي الربع الخالي أي في منطقة ظفار. وللأسف ليس لدينا الخريطة الأصلية ولكن ظهرت منها نسخ في القرن الثاني عشر الميلادي من مصادر عربية وأوروبية تعكس رؤية بطليموس لجغرافية المنطقة في القرن الثاني الميلادي حيث وضع منطقة اللبان في سهل صلالة (خور روري)، وقد اكتشف البرايت من خلال حفرياته عام ١٩٥٣ منطقة خور روري (سمهرم) التي أطلق عليها الاغريق اسم (موشا) ويطلق عليها بطليموس في خريطته (موشا بورتوس) وهو اسم صحيح... أما المقبرة التي أطلق عليها اسم (سافرا) فيمكن وبكل اطمئنان تعريفها بمنطقة عين حمران الحالية.

ويطلق بطليموس على المنطقة الواقعة في شمال الجبال (أيوباريتي المعروفة باسم (أوباريتس)... ولم نجد اسم مدينة (أوبار) في خريطة بطليموس ولو أن الكثيرين يعتقدون أنها الاسم نفسه. وهناك مناطق تمت الإشارة إليها كمناطق قبلية مثل أيولا وماريماتا وإلى الجنوب تابانا... ويهمنا اسم (ماريماتا) الذي يمكن ترجمته (مكان المهرة) وهي قبيلة معروفة حتى يومنا هذا في محافظة ظفار.

وهناك الاسم (عمان)، نلاحظ في خريطة بطليموس أنه يشير إلى منطقة (عمانيوم/أمبوريون) وتعني (السوق العماني) تقع شمال شرق ظفار، وإذا استخدمنا تكنيك بطليموس الجغرافي نجد أنه يضع عمانيوم في صحراء نجد مباشرة شمال منطقة أشجار اللبان. وفي وصف بيريبلوس نجده يشير إلى خليج شالاتيس بمعنى أنه (خليج عمان). إذن من هم العمانيون؟

المصادر التاريخية تجعل أصول العمانيين الأوائل من قبيلة الأزد التي ظلت تهاجر وتستقر في القرن الثاني الميلادي. ويقول المؤرخون العرب ان الأزد كانوا ملوك الجبال والصحاري. وقد وضع بطليموس سوق العمانيين في منطقة ظفار... وهناك شظية أسادور جاراكس يرجع تاريخها إلى القرن الأول الميلادي وفيها سطر يقول (جوايسوس كان ملكاً للعمانيين في بلاد البخور). ويشير كل من بليني وبيريبلوس إلى أن العمانيين يسيطرون على المناطق الرئيسية في جنوبي ساحل بحر العرب.

وظل المؤرخون الإسلاميون يشيرون إلى المنطقة شمالي جبال ظفار باسم (أوبار)... وفي القرن الحادي عشر الميلادي يشير نشوان بن سعيد الحميري إلى أن أوبار كانت الاسم الذي يطلق على الأرض التي تملكها قبيلة عاد في المناطق الشرقية من اليمن، ولكنها الآن جفت بسبب فقدان المياه وأن بها مبانيَ عالية وكبيرة غطتها الرمال بفعل الرياح. ويشير المؤرخ العربي الطبري الذي عاش في القرن الحادث عشر الميلادي إلى أن أوبار منطقة ضربها الجفاف، وأشار إلى أحد الداعين الذي قال عنه انه ذهب من أوبار إلى جبال المهرة يقول (أنزل الغيث على عاد كما كنت تنعم بها عليهم من قبل).

ويشير الطلابي إلى أن أرض أوبار تقع ما بين اليمامة والشيهر. أما ياقوت فيقول أوبار تقع بين الشيهر وبني سعد والمهرة. ويقول الحمداني بصراحة ان أصل المهرة في أوبار. أما الكسائي فيذكر أن الريح العاتية دمرت أوبار.

وعلى كل، وبدون الغوص في التفاصيل الدقيقة فإن أكثر من مصدر أشار إلى أن أهل عاد كانوا يسكنون في منطقة أوبار أو وبار والإشارة بالتحديد تحت اسم (الأحقاف). ويسجل القرآن الكريم أن أهل عاد قد دمروا وفنوا بدون ذكر اسم أوبار أو وبار أو إلى المنطقة الجغرافية التي كانوا فيها.

وفي قرون تالية، يعطينا ياقوت وصفاً جغرافياً دقيقاً عن المنطقة إذ يقول إن وبار أرض واسعة يبلغ عرضها نحو ٣٠٠ فرسخ (٤٠ ميلاً). وهي أرض خصبة للغاية وغنية بثروتها المائية، وبأشجارها الكثيفة بما في ذلك أشجار الفاكهة. وقد تعاظم ثراء الناس بسبب الخصوبة العالية للأرض.

من هذا يتضح أن (وبار) لم تكن مدينة، بل أرضاً واسعة، بل ان الإشارة إليها كمدينة نجدها في قصص ألف ليلة وليلة فقط. أما الإشارة في القرآن الكريم إلى ﴿إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ وتحديد ذلك في موقع معين في ظفار فتظل محل جدل لم يحسم بعد.

المستكشفون

تظل ظفار في نظر الغرب مكاناً غامضاً وساحراً ذلك لأنهم كانوا جاهلين بالتاريخ العربي، ونعلم أن التجارة العربية ومنذ أقدم العصور ظلت تنقل وبصورة منتظمة عبر منافذ في منطقة الربع الخالي. ويذكر المؤرخ ابن المجاور (٦٢٢هـ/١٢٢١م) أن هناك طريقاً تسلكه القوافل التجارية يربط بين ريسوت وبغداد وأن السلع الهندية والأقمشة كانت تنقل عبر ذلك الطريق من الهند إلى بغداد، وتنقل إلى الهند تجارة تلك المنطقة، ويشير أيضاً إلى وجود طريق تجاري بين مرباط وطاقة القديمة مارا بالكوفة وله جانب متفرع يصل إلى واحات الحسا والطائف. وعبر هذا الطريق كان العرب يجلبون الجياد مرتين في العام ويقايضونها بالعطور والسلع الفاخرة.

ويذكر ياقوت أن العرب العقيليين كانوا يعبرون الربع الخالي بصورة دائمة من منطقة وادي الدواسر في المنطقة الشمالية في رحلة تمتد نحو الشهر ونصف الشهر حتى يصلوا إلى حدود منطقة المهرة التي يصلونها من ناحية الجنوب. وهناك إشارات إلى أنه من الضروري السيطرة على صحراء ظفار وواحة جبرين في شرقي الجزيرة العربية لضمان السفر الآمن عبر الربع الخالي.

وظل العرب حتى عقد الثلاثينات من القرن الجاري يذكرون الطرق السالكة عبر الربع الخالي... الطريق من ريسوت إلى بغداد. والسؤال... هل هناك طريق من الربع الخالي إلى ظفار ثم إلى منطقة اللبان؟

يذكر الرحالة توماس الذي سافر عام ١٩٢٩ في شمال ظفار أنه عندما وصل إلى طريق على وادي ميتان، أخبره المرشدون أنه (الطريق إلى وبار)... ويضيف توماس أن الطريق الذي يتحدث عنه المرشدون قد غطته الرمال وهو فرع يؤدي إلى الربع الخالي... ويعتقد توماس أن مدينة وبار تقع على مسافة يومين شمالي رمال الربع الخالي.

ويقول فيلبي في رحلته عبر الربع الخالي من الشمال في عام ١٩٣٢ أن الطريق الذي أشار إليه توماس (طريق قوافل). وعندما وصل فيلبي إلى منطقة جبرين سمع هناك قصصاً تشير إلى أن المنطقة قد أغار عليها قوم عاد.

وقد لاحظ فيلبي في منطقة تقع في جنوب جبرين بئراً عميقة وقال إن سكان تلك المنطقة لا يمكنهم حفر بئر عميقة كهذه... كما لاحظ طريقاً قديماً كانت تسلكه القوافل التجارية... وظن أنه كان يبحث عن مدينة وبار. أما المستكشف ويندل فيليبس فقد زار منطقة وادي ميتان في عام ١٩٥٢ وأكد أن هناك شواهد لطريق قوافل قديم يؤدي إلى الربع الخالي... وقد مشى فيه لمسافة ثلاثين ميلاً.

مرة أخرى، فإن كل تلك الملاحظات لم تأت بشيء ملموس يقودنا بالتحديد إلى أي من تلك المواقع... وبقي الحل الأكيد بوسائل التكنولوجيا الحديثة وأقصد بها صور الأقمار الصناعية... وكان ذلك ما حدث خلال عقد الثمانينات حيث ان صور الأقمار الصناعية تعطينا تفاصيل دقيقة ومضبوطة حتى قادنا البحث مع ما لدينا من إفادات من المصادر المتعددة إلى أوبار أو وبار.

الربع الخالي وأصول وبار

يقودنا البحث في موضوع الأصول إلى الأزمان البعيدة في تاريخ المنطقة وإلى الظروف التي أوجدت تجارة اللبان ثم توسع تلك التجارة خاصة في منطقة ظفار، وشرقي الربع الخالي وفي عمان بشكل عام وفي شرقي الجزيرة العربية.

ولا بد من التسليم بأن سكان ظفار ومنذ أقدم العصور كانوا يعرفون شجرة اللبان ولكن الظروف التي جعلت هذه الثمرة تستخدم في التجارة وبشكل واسع لم تبدأ إلا في عهد العصر الحجري الحديث أي قبل نحو ٨٠٠٠ عام... فقد سلكت التجارة في هذه السلعة خلال العصر الإسلامي نفس الطرق التي كانت تستخدم منذ العصر الحجري الحديث إذ الطرق المعبدة التي أنشأها العرب والرومان على نفس الطرق القديمة. والنمط نفسه نجده على طريق النجف ـ سينا... طرق يعود تاريخها إلى عهود قديمة ثم تصلح وتستخدم في أزمان تالية.

والحديث عن العلاقات التجارية الواسعة لا يتضح إلا إذا عدنا إلى ظهور النشاط التجاري القديم في بلاد سومر حين نشأ ما أصبح يعرف باسم حضارة الأوبيد في حوالي عام ٥٥٠٠ قبل الميلاد التي اشتهرت بأواني السرميك المتميز في صناعته وزخرفته.

ومنذ عام ١٩٦٩، أثبتت الاكتشافات الأثرية عن وجود أواني السرميك من حضارة سومر في الكويت وعلى طول الساحل الشرقي للجزيرة العربية، ووجدت في البحرين وفي قطر وفي دولة الإمارات العربية المتحدة. ورغم أن نماذج من ذلك السرميك المنتمي إلى حضارة أور (سومر) لم يعثر عليه بعد في مناطق جنوب شبه الجزيرة العربية أو على سواحل بحر العرب إلا أنه من المؤكد أن يكون قد مر على تلك المناطق عبر التجارة البرية... فقد وجدت نماذج منه في مناطق الحسا وعلى طول المنطقة التي ارتبطت فيما بعد بالتجارة البرية بين الخليج والمناطق الداخلية في شبه الجزيرة العربية وفي مناطق الربع الخالي... كذلك الأواني المصنوعة من الزجاج البركاني الأسود التي وجدت في قطر قد جاءت عبر التجارة من مناطق في جنوب غربي شبه الجزيرة العربية.... ووجدت هذه الأواني الزجاجية في وادي غدون في متفه مما يؤكد الارتباط التجاري بين شرقي وغربي الجزيرة العربية عبر الربع الخالي.

والسؤال: ما الدلائل التي لدينا التي تربط بين ظفار والمنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية عبر الربع الخالي خلال العصر الحجري الحديث؟

كانت بيئة المنطقة في تلك الأزمان البعيدة مختلفة تماماً عما هي عليه اليوم من مناخ، حيث كانت المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية غنية بالأنهار والبحيرات. وكانت مناطق المياه آهلة بالسكان وكانت بها معابر الطرق خاصة في منطقة الربع الخالي بدليل أن الأواني والمعدات التي تنتمي إلى العصر الحجري الحديث قد وجدت على طول المنطقة وفي كل بقعة من شبه الجزيرة العربية. وأقام هؤلاء علاقات تجارية مع حضارة سومر. ووجدت بقايا تلك الحضارة في مناطق الربع الخالي وفي المناطق الداخلية من اليمن وفي شمال عمان وفي منطقة عسير. وعثر على نماذج من فنون الرسم من تلك الحقبة على جدران الصخور في غربي شبه الجزيرة العربية وفي اليمن وتشير تلك الرسومات الكهفية إلى أن الأهالي كانوا يربون الماشية.

ما دور البخور في تلك التجارة؟

أعقب عهد العصر الحجري الحديث ما يسمى بالعصر البرونزي الذي يؤكد روابط شرق شبه الجزيرة العربية مع غربها ومع عمان ومع بلاد سومر في جنوب العراق. ويعود تاريخ أول النقوش الكتابية في حضارة سومر إلى نحو عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد وهي الفترة المعاصرة إلى العهد الأخير من العصر الحجري الحديث في منطقتي ظفار والربع الخالي... وقد عثر على عدد من الألواح السومرية (الكتابة القديمة) مكتوب عليها كلمة (بخور) وفي سجلات أخرى نجد معنى أدق وهو تعبير (البخور المستخرج من أشجار اللبان). وهناك تعبيرات أخرى معناها البخور المطلوب للحكام وللقساوسة.

وفي الكتابات اللاحقة نحو عام ٢٤٠٠ قبل الميلاد نجد التعابير أوضح حيث تشير إلى أن البخور قد جلب من البحرين أو من شرقي شبه الجزيرة العربية. وتنبئنا الكتابات الأولية أن هذا البخور كان يقاس عن طريق الوزن. وكان يخلط معه الزيت أو الشحوم وكان يستخدم لأغراض في الطقوس الدينية، وكعلاج وكبخور (عطر). أما كلمة (الصمغ) فلم تظهر لنا إلا في الكتابات الأشورية اللاحقة حوالي عام ١٨٠٠ قبل الميلاد.

وكان اللبان من واقع النقوش الكتابية يصدر إلى بلاد سومر ومناطق العراق القديم عن طريق البحر قادماً من موانىء في البحرين وفي شرقي الجزيرة العربية. كما وان الاكتشافات الأثرية قد أثبتت قيام هذه التجارة عبر الطرق البرية.

والخلاصة، نجد منذ حوالي عام ٥٠٠٠ قبل الميلاد حتى حوالي عام ١٨٠٠ قبل الميلاد كانت طلبات بلاد العراق القديم تتزايد نحو العطور القادمة من شرقي شبه الجزيرة العربية ومناطق الربع الخالي وظفار. ومما لا شك فيه أن ظفار عرفت البخور والتجارة منذ العصر الحجري الحديث.

وشهدت الفترة منذ عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد تغييراً في مناخ شبه الجزيرة العربية حيث أخذت البيئة تتجه نحو التصحر والجفاف... وفي تلك الظروف بدأ استئناس الجمال لاستخدامها في القوافل التجارية البرية، وأول دليل كتابي عن وجود الجمال في جنوب شرقي الجزيرة العربية يعود إلى عام ٢٣٠٠ قبل الميلاد. وعليه فإن الطرق التجارية التي كانت تربط مناطق شبه الجزيرة العربية منذ عهد العصر الحجري الحديث قد تم تعبيدها خلال العصر البرونزي وصارت أكثر ثباتاً مع استخدام الجمال عليها ومع ظهور الكيانات السياسية في المنطقة.

وقد أثبتت الاكتشافات الأثرية في الجزيرة العربية وفي مصر وفي المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية أن التجارة البرية صارت حقيقة ثابتة بحلول عام ١٥٠٠ قبل الميلاد. وقد كشفت الحفريات الأثرية في منطقة غزة عن وجود هياكل عظمية للجمال وذلك منذ بداية القرن الرابع عشر قبل

الميلاد. والمعروف أن منطقة غزة كانت نقطة النهاية للتجارة البرية الغربية.

بعثة ترانس أريبيا

بدأت هذه البعثة أعمالها في يوليو من عام ١٩٩٠. وبعد أعمال مسح متعددة في إقليم ظفار، تقرر منذ ٢٦ ديسمبر ١٩٩٢ أن يكون مقر الحفريات في شصر. ولم نكن في بادئ الأمر ندرك أن منطقة شصر سيكون لها شأن كبير في أعمالنا.. وقد ذكرها الرحالة الأول خلال هذا القرن نذكر منهم توماس في عام ١٩٢٩ وثيسجر في عام ١٩٤٨ ومايك مورتون في عام ١٩٤٨. وفي عام ١٩٧٣، زار شصر بعثة من جامعة هارفارد تحت قيادة جي. بولار وبي جلوب. أما البعثة الهولندية فقد زارتها عام ١٩٥٢. ولم تفعل تلك البعثات أكثر من أخذ عينات من حضارات العصر الحجري. ويبدو أن الزلزال قد ضرب الموقع في وقت بعيد كما أشار بذلك جيولوجيون فرنسيون من واقع العينات التي بحثوها.

المعمار

أثبت المسح الذي تم عام ١٩٩٠ عن وجود ما لا يقل عن ثلاثة أنواع من الفخار، كما اكتشفنا بعد بداية الحفريات عن وجود جدار عريض (٩٠ سنتيمتراً في عرضه) وبطول ٥٠ سنتيمتراً في البداية ثم اكتشفنا بداية البرج.. ثم أعقبها اكتشاف برج ثان في الزاوية الشمالية الشرقية مكونة جزءاً من بناية هائلة ثم اكتشفنا بقايا طوب سقط من السقف.. ثم اكتشفنا برجاً ثالثاً في شكل مربع.. كما وجدنا عدداً من الغرف يبدو أنها بنيت في أزمان لاحقة واستطعنا تنظيف صحن القلعة وبقايا باب المدخل الرئيسي.. ثم اكتشفنا برجاً آخر على شكل حدوة حصان.. ثم برجين آخرين. والمباني الرئيسية محاطة بسور كبير وهي عبارة عن عدد كبير من الغرف.

ومنذ عام ١٩٩٤ تركز البحث في دراسة هذا المبنى الضخم المحاط بأبراج مراقبة.. تاريخ البناء والهدف منه. ويبدو الآن أن هذه الغرف ظلت مستعملة منذ العصر الحديدي وحتى عصر حديث.. وقد أفاد عدد من البدو أنهم عندما كانوا أطفالاً يذكرون أن آباءهم كانوا يسكنون في تلك الغرف.. وقد أثبتت الحفريات صحة هذه المعلومات حيث وجدنا عدداً من الغرف التي بنيت حديثاً.

واستطعنا تحديد العصور التاريخية للمبنى من واقع الأدوات والأواني الفخارية والزجاج وأواني البخور وتتراوح تواريخها من نحو عام ١٠٠ قبل الميلاد حتى العصر الإسلامي ٩٠٠ ـ ١٤٠٠ ميلادية. ويبدو أن زلزالاً خفيفاً ضرب المدينة والمبنى أدى إلى تدميرهما.

الاكتشافات

لقد استخدمنا طريقة كاربون ـ ١٤ وطبقات التشييد لتحديد التواريخ وقمنا بتسجيل وترقيم نحو ٢,٥٠٠ من الأدوات والأواني التي عثرنا عليها خلال موسمين من العمل وأدخلنا المعلومات في الحاسوب وسوف تخضع لمزيد من الدراسة والتحليل، وهي أدوات تتراوح بين أواني السرميك وأدوات مصنوعة من الحجر، وعظام حيوانات وأصداف معدنية. ووجدنا نماذج أدوات من العصر الحجري الحديث كالفؤوس الحجرية والأمواس والسكاكين والمرايات المصنوعة من الحجارة ومن المعادن وأحجار للطحن. ومن هذه الشواهد يتضح أن الموقع كان مأهولاً منذ العصر الحجري عام ٥٠٠٠ قبل الميلاد وظل يستخدم في العهد الحجري الحديث اللاحق وحتى نحو عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد، وبالمقارنة مع الأواني المصنوعة من السرميك والتي عثر عليها في اليمن يعود تاريخها إلى ٢٤٠٠ قبل الميلاد.

ويبدو أن أول بناء رئيسي بدأ في وقت ما بعد عام ١٥٠٠ قبل الميلاد. وعندما جاء العصر الحديدي (بداية عام ٥٠٠ قبل الميلاد) كان الموقع مأهولاً بدليل وجود أواني السرميك وهي أوانٍ مصقولة باللون الأحمر وكلها في شكل طاسات ومنها الشكل المزخرف بالنقاط وهو النوع المتواجد في عمان منذ العهد البرونزي واستمر في الاستعمال في منطقة ظفار خلال العصر الحديدي. وقد اكتشفنا مع أواني السرميك نوعاً آخر من الأواني المعاصرة مثل اللمبات المصنوعة من الحجر الرملي، والمباخر، والأواني المصنوعة من الحجارة وأواني أخرى كلها تشير إلى ارتباط وثيق مع حضارة حضرموت. ومعظم المواد والأواني الجميلة يعود تاريخها من القرن الأول قبل الميلاد إلى القرون الأولى الميلادية.

أما الأواني المصقولة باللون الأصفر البرتقالي والتي وجدت في موقع شصر/وبار فقد وجدت نماذج لها في المنطقة الواقعة اليوم شرقي المملكة العربية السعودية مما يشير إلى التأثير الهليني وقد أثبت تحليل العمر التاريخي بواسطة معادلة كاربون ١٤ أن منطقة شصر كانت معاصرة للعصر الإغريقي والعصر الروماني حتى القرن الخامس الميلادي.

ويعزى انهيار تجارة البخور إلى عوامل تاريخية في العالم الروماني مما انعكس سلباً على الحضارة العربية في جنوبي شبه الجزيرة العربية وشصر وظفار. ويبدو أن موقع شصر شهد التأثر بالفترة العباسية بدليل الأواني الزرقاء التي عثر عليها ولعبة الشطرنج.

وكانت آخر فترة تاريخية في شصر تعود إلى القرن الثالث عشر حتى السادس عشر الميلادي بدليل وجود الأواني الصينية الأصل والزجاج الملون باللون الأخضر دلالة على ازدهار التجارة... وقد تم تدمير المركز بواسطة البرتغاليين في أوائل القرن السادس عشر الميلادي.

والخلاصة، أن موقع شصر يمثل المركز الرئيسي لمنطقة نجد/ظفار للتجارة البرية المتجهة نحو الشمال والتي بدأت منذ عهد العصر الحجري الحديث والتي كانت مرتبطة بكل التأكيد بالنشاط التجاري بين ظفار ومنطقة شمالي الجزيرة العربية حتى حضارة سومر في جنوبي العراق القديم.

وقد كانت التجارة في عهدها الأول تشتمل على تجارة العطور وخاصة اللبان... وارتباط النشاط التجاري بين ظفار وسومر يعني بكل التأكيد امتداد تلك التجارة ومنذ فجر عهدها مع التجارة المتجهة نحو الغرب حتى غزة ومصر القديمة.

وبحلول العصر البرونزي والعصر الحديدي استمر الازدهار في منطقة شصر وتم في هذا العهد المبكر إقامة أول مبنى في منطقة شصر التي كانت مأهولة بالسكان بحكم ازدهارها ونشاطها التجاري. وفي القرون الوسطى أشار المؤرخون الأوائل وكذلك أشارت المصادر الإسلامية إلى أصل عاد ونشاطهم في تجارة البخور (العطور). واستمر الموقع خلال العصر الإسلامي في ازدهاره مع التركيز على تجارة البخور وتجارة الخيول... وظلت منطقة شصر مرتبطة مع منطقة الربع الخالي ومع ساحل ظفار. وانتهى الموقع وهجر في أوائل القرن السادس عشر الميلادي.

وقد تم البحث في عدد من المواقع الأخرى في منطقة شصر، فقد اكتشفنا موقعاً يبعد ٢٥ كيلومتراً إلى الشرق من شصر يعود تاريخه إلى العصر الحجري الحديث حوالي ٥٠٠٠ - ٣٠٠٠ قبل الميلاد، وقد قمنا بتسجيل كل المواقع وفهرستها. ولاحظنا في أعمال المسح أن الأهالي قد استخدموا البولدوزر في الموقع بحثاً عن المياه.

وقد قمنا بجمع عينات من التربة لفحصها لمعرفة الظروف المناخية في ظفار في تلك الفترة البعيدة ومدى التأثير على النباتات. وعثرنا على أدوات حجرية تعود إلى عصور موغلة في التاريخ مما يشير إلى أن الإنسان العماني كان متواجداً فوق ترابه منذ ما بين ٥٠,٠٠٠ ـ ٣٠,٠٠٠ عاماً خلت.

وقمنا أيضاً بعمل مسح لمنطقة وادي غدون وهو النهر الذي كان ممتداً من العيون إلى مقشن في عهد العصر الحجري الأول ما بين عام ٥٠٠٠ ـ ٢٥٠٠ قبل الميلاد... واكتشفنا أدوات حجرية وقرى كانت مأهولة بالسكان لهم بيوت أساساتها من الحجارة كما وجدنا مقابرهم.

سهل صلالة الساحلي

بدأ عمل المسح الأثري في سهل صلالة الساحلي مع التركيز على البحث في العلاقة بين هذا الساحل ومجمع شصر وقد بدأنا في أعمال المسح في موقع عين حمران منذ منتصف عام ١٩٩٣ وهو موقع هام ولما قد يكون له من علاقة بين مستوطنات ساحل ظفار وجبال ظفار وكذلك منطقة نجد... وفي عين حمران على بعد نحو ثلاثين كيلومتراً شرقي صلالة تحت سفوح جبال ظفار وعلى الجنوب من عين الماء، كشف المسح الأوّلي أن خطة طوبغرافية القلعة مشابهة لحد كبير لطوبغرافية مجمع المباني في شصر... وقد كشف المسح الأوّلي بأن موقع عين حمران أكبر مساحة من موقع شصر... ولسوف تستمر أعمال البحث في الموقع من حيث السمات المعمارية للمبنى والأغراض التي بُني من أجلها.

وهناك المجمع البنائي الكبير في موقع البليد بحي المنصورة بمدينة صلالة حيث كان الموقع مركزاً تجارياً مزدهراً على الساحل تنشط فيه تجارة الصادر والوارد وينعم أهله بحياة معيشية عالية وكانت المدينة مأهولة بالسكان. وعثرنا في مسحنا الأولي على مجموعة من العملات الإسلامية والصينية وأوانٍ مختلفة وأوانٍ مصنوعة محلياً من السرميك يعود تاريخها إلى القرن الرابع عشر الميلادي، ووجود أسورة الأيدي المصنوعة من الزجاج، وقد عثرنا على نماذج مماثلة لها في موقع شصر مما يدل على وجود ارتباط ونشاط تجاري مع المنطقة الداخلية في محافظة ظفار ومع منطقة الساحل حتى القرن الخامس عشر. وسوف نعمل على استكشاف الطرق القديمة عبر جبال صلالة في المستقبل القريب.

الاستكشافات تحت المياه

قمنا خلال أشهر مارس وابريل بعمل استكشاف في رقعة صغيرة على ساحل ظفار تحت المياه... وقد وجد الفريق عدداً من المواقع بين مدينتي مرباط وسدح الحديثتين، ونعلم من المصادر التاريخية أن الساحل العماني كان مأهولاً منذ القرن الثامن قبل الميلاد. وقد وصفه البحارة اليونانيون. ونعلم من المصادر العربية أن نشاطاً تجارياً كبيراً كان يجري على ساحل عمان مع بلاد الهند والصين وشرق افريقيا.

ونأمل أن يسفر بحثنا تحت المياه عن تحديد نوع السفن من البقايا التي قد نعثر عليها... كما نأمل في العثور على المزيد من المعلومات من أعمال المسح والاستكشافات المستقبلية.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

JOURNAL OF ARAB HISTORIANS



Office of the General Secretary
Iraq - Baghdad - P.O. Box 4085
Cable: MOARKHEEN Baghdad